

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة  
في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٤)



PanahianAR

الزمان: شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤ هـ  
المكان: مسجد الإمام الصادق (ع) في مدينة طهران  
الموضوع: الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة  
في النظام التربوي الديني، (المحاضرة ١٤)

إليك ملخص الجلسة الرابعة عشر من سلسلة  
محاضرات سماحة الشيخ بناهيان في موضوع  
«الطريق الوحيد والاستراتيجية الرئيسة في  
النظام التربوي الديني» حيث ألقاها في  
ليالي شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٤هـ. في  
مسجد الإمام الصادق(ع) في مدينة طهران.

## إن جهاد النفس عملية معقدة جدا، لأن النفس تحتال على الإنسان

إن طريقنا الوحيد إلى الكمال هو مخالفة الأهواء  
والشهوات ولكن ليس مطلق الأهواء وجميع  
الشهوات. فلا ينبغي أن نجاهد جميع أهواءنا  
بشكل مطلق، بل لابد أن نجاهدها ضمن برنامج.  
فإن البرنامج المتمركز والاجتناب عن التكثر المضر  
ضرورة لازمة في مسار جهاد النفس. إن عملية جهاد  
النفس معقدة جدا، لأن النفس تحتال على الإنسان.

حتى بإمكان النفس أن تستغل الدين لصالحها.

## ما الداعي إلى الاهتمام بالعناء / «الفرار من العناء» أهمّ عوامل ترك جهاد النفس

السبب في الاهتمام بالعناء إلى جانب الاهتمام بجهاد النفس هو أنه لأننا بصدد الالتفات إلى الطريق الأصلي في الرشد والكمال، فلا بدّ لنا من جهاد النفس وإن جهاد النفس هو عملنا الرئيس في هذه الدنيا. ثم إن أهمّ عامل أو العامل الوحيد الذي يدعونا للفرار من جهاد النفس هو نزعة الفرار من العناء. إذن فلا بدّ من الحديث عن العناء لكي نقنع أنفسنا على تحمّل العناء وعدم الفرار منه. لماذا لا نسمع نصائح الصالحين في موضوع جهاد النفس؟ ولماذا لا نهتمّ كثيرا وبشكل صحيح بآيات الجنة والنار؟ لأننا لا نودّ المحن والمعاناة. إذن تكمن مشكلة أغلب الناس في قضية العناء. ليس الخوف من العناء بخوف محمود وحتى ينبغي لنا أن نطلب بعض مصاديق العناء.

## العناء شيء عابر ثم تتبعه راحة ومسرة طويلة

خوف الإنسان من العناء يدعوهُ إلى الفرار من جهاد النفس وباقي الفضائل، ولذلك فلا بد من تحديد موقفنا تجاه العناء وأسلوب تعاملنا معه. إن العناء شيء عابر ثم تتبعه راحة ومسرة طويلة. كما قال أمير المؤمنين(ع) في وصف المتقين: «صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً» [نهج البلاغة/ الخطبة ١٩٣].

## من لم يحلّ لنفسه قضية العناء، تخدعه نفسه حتى بأدلة دينية بحسب الظاهر

يتمثل العناء بترك اللذات تارة، ويتمثل بالأم ومحن تارة أخرى. فإذا لم نحلّ مشكلتنا مع هذين النوعين من العناء، نواجه مشكلتين: المشكلة الأولى التي تظهر في بداية المطاف وتبقى معنا هي أنه إذا كان قلبك يطلب الراحة، تخدعك نفسك دائماً. وإذا كنت غير خاضع للعناء، فتصنع نفسك دائماً ذرائع وحجج جميلة من الآيات والروايات للفرار من

الدين والركون إلى الدعة، لأنها نفس أمارة بالسوء. (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) [يوسف/٥٣]. السبب الرئيس في انخداع الإنسان بالذرائع المصبوبة في قالب ديني هو أننا لم نجتث خفايا جذور طلب الراحة ولم نحلّ لأنفسنا قضية العناء. فإن لم يكن الإنسان قد حلّ موضوع العناء وطلب الراحة والدعة لنفسه، تخدعه نفسه في بداية المطاف.

## كيف استطاع المجاهدون أن يطووا طريق مئة عام في ليلة واحدة؟

لماذا قد استطاع المجاهدون في سبيل الله أن ينالوا مقاما بحيث قد اجتازوا مسيرة مئة عام في ليلة واحدة؟ لأنهم قد وطنوا أنفسهم على تحمل عناء الموت وقبلوا بذلك، وبذلك حصلوا على نورانية رائعة. فكان موضوع العناء محلولا لدى المجاهدين في سبيل الله. فإذا لم تكن قد وطنت نفسك على موضوع العناء، تخدعك نفسك من حيث لا تشعر.

فعلى سبيل المثال إن غضبت في موقف ما ولم تقدر على تحمّل عناء «سوء معاملة الآخرين» وغضبت عليه أو شتمته، هنا تطمئنك نفسك أن: «كان يستحق هذه المعاملة ولا عليك من تقصير!» أما حلّ موضوع العناء، يعينك على أن لا تتخذ عند مواجهة هذه المعاناة بل تبتهج بتحملها.

## الزواج هو عبارة عن اختيار من سوف نختلف معه في الرأي!

إن هذه، لرؤية مهمة وهي أن الموضوع الرئيس هو أداء التكليف، ولا بدّ من تحمّل العناء في إطار التكليف والبرنامج الإلهي. طبعاً لا بدّ أن نطبع قلوبنا على ترك اللذات ولكن في مقام العمل، لا بدّ أن يكون هذا الترك على أساس الأحكام الإلهية والبرنامج الإلهي لا على أساس اختيارنا. ولذلك فإذا رزق الإنسان لذة ما، حتى وإن فرّ منها تفرض عليه فرضاً، وكذلك إذا واجهنا تكليفاً إلهياً ممتعاً، لا ينبغي أن نتركه بذريعة

ترك اللذة. المهم هو حال القلب الذي لا ينبغي أن يطبّع على حبّ الراحة واللذة، ولا بدّ أن نخضع لقضاء الله في فرض بعض المحن علينا. فعلى سبيل المثال لا بدّ لكل زواج أن يشتمل على مشاكل واختلافات، لأن المرأة والرجل إنسانان، وبطبيعة الحال يختلف الناس مع بعض في بعض وجهات نظرهم. ولذلك فإنكم عندما تقدمون على الزواج، في الواقع تختارون من سوف تختلفون معه في الرأي! لا أن تبحثون عن من لا تختلفون معه أبداً. لا بدّ من قبول أمثال هذه المعاناة وأن تتعامل معها بأسلوب حسن.

**من لم يحلّ لنفسه قضية العناء، حتى وإن أصبح**

**إنساناً صالحاً، لن يكون صالحاً كثيراً**

القضية الأخرى في ما يرتبط بنتيجة عدم الخضوع للعناء هي أنك ما لم توطّن نفسك على العناء، حتى وإن أصبحت إنساناً صالحاً، لن تكون صالحاً كثيراً، إذ لا تزال أنانيتك موجودة على حالها.

كان قد سعى العرفاء وعلماءُنا العظام أن يقلعوا أنانيتهم، وآخر ما يحمي صنم الأنانية هو نزعة «الفرار من العناء» و «الركون إلى الدعة والشهوة». فإن قضي على «الأنا» تصبح عين الإنسان عين الله ولسانه لسان الله ويده يد الله. فأخر المطاف هو فناء «الأنا» وزوال أهوائنا حتى أن لا يبقى شيء سواه. وهذه هي اللذة الكامنة في الدين وهي أن تتحول أهواء النفس إلى هواه. فنحن نودُّ أن نصل إلى درجة من الخلوص حتى لا يبقى شيء تحت عنوان «نحن» ونفنى في «هو». ومن أجل نيل هذه الدرجة لابد من توطين النفس على العناء.

## إن ترك اللذة حلو/ أيّ لذة نتركها في سبيل كسب نظر لطف الله؟

إن معاناة ترك اللذات، وإن كانت معاناة ولا تخلو من الصعاب، ولكنك إن عشت أجواءها تشعر بمدى حلاوة الترك، حتى أن كثيرا من عرفائنا تغزلوا



بترك اللذات وقد اعتبروها عين اللذة. نقل الإمام الصادق(ع) حديثاً عن النبي الأكرم(ص): «مَنْ أَكَلَ مَا يَشْتَهَى وَ لَبَسَ مَا يَشْتَهَى لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ حَتَّى يَنْزِعَ أَوْ يَتْرُكَ» [التمحيص/ص ٣٤] فَمَنْ أَجَلَ كَسَبَ نَظَرَ لَطْفَ اللَّهِ، لَابِدٌ مَنْ تَرَكَ هَذِهِ اللَّذَائِذَ.

## علاقة جهاد النفس بالعبادة/ العبادة الحسنة، جائزة جهاد النفس

أحد المواضيع المهمة، هو كيفية الربط بين جهاد النفس وباقي المفاهيم الدينية. فعلى سبيل المثال ما هي علاقة العبادة مع جهاد النفس؟ فإن العبادة شيء يختلف عن جهاد النفس، وهي عبارة عن العلاقة المباشرة مع الله. علاقة هذين الأمرين هي أنه إذا كان الإنسان قد جاهد نفسه من بداية الصبح إلى الظهر، تكون صلاتي الظهر والعصر ألصق بفؤاده وتنتعش عباداته. فالصلاة الجيدة تكون جائزة لذلك الجهاد.

الصلاة بمثابة لقاء الله. وإن كانت العبادة هي علاقة مباشرة مع الله، ولكن كيفية هذه العلاقة مرهونة بمستوى الجهاد الذي قمت به قبل العبادة. فقل لي ماذا فعلت خارج البيت حتى تريد أن تدخله الآن؟! يقول الإمام الحسن المجتبي (ع): «إِنَّ مَنْ طَلَبَ الْعِبَادَةَ تَزَكَّى لَهَا» [تحف العقول/ص ٢٣٦]. الصلاة نتيجة جميع المحاسن ولذلك فمن أجل إدراك مغزى الصلاة وإحساس طعمها لا بد من جهاد النفس. فالذي لم يجاهد نفسه يحرم من إدراك لذة العبادة كالطفل الصغير الذي لا يدرك شيئاً من اللذة الجنسيّة. إن لم تجاهد نفسك طوال يومك فعلى الأقل جاهدها حين الصلاة. فاختر لباسك من حلال والبسه في الصلاة. وأزل النجاسات من جسمك ولباسك. وكن طاهراً واعمل بأداب الصلاة جيّداً. إذا أطلق الإنسان عنان نفسه طوال نهاره ولبيّ رغباته مهما شئت، لن ينظر الله إليه في صلاته، فما بالك بمن لم يلزم نفسه أثناء الصلاة. فجاهد نفسك أثناء الصلاة على الأقل.

## أي محبوب غير مصحوب بقيود

ليس كل محبوب ومرغوب مصحوب بقيود من بداية الأمر. هناك رغبة وهواية ممتعة جدا، وفي نفس الوقت سهلة الوصول، ويمكن ذوق طعمها من بدء الانطلاق، والمبالغة في التمتع بها ليس إسرافا، وليس هذا الحب الجميل سوى حب محمد وآل محمد (ص). إن حب أهل البيت (ع) هدية الله سبحانه إلى أمة النبي (ص). فهو حب وهوى لا قيد فيه. وليس في حب أمير المؤمنين (ع) إفراط. طبعا هذا الذي يدعي أن أمير المؤمنين (ع) إله، لم ينته إلى هذا الانحراف لشدة حبه، بل قد جرّه هواه إلى ذلك، إذ أن شدة الحب يجعل من الإنسان مطيعا ومتأسيا بمحبوبه. أحد العوامل التي يسرت حب أهل البيت (ع) على القلوب، هو ما عانوه من ظلامه. كل من حب أهل البيت تزكى كما جاء في زيارة الجامعة الرائعة: «وَمَا خَصَّنَا بِهِ مِنْ وَلَايَتِكُمْ طِيبًا لَخَلَقْنَا وَطَهَارَةً لِنَفْسِنَا وَتَرْكِيَةً لَنَا» .

نفس الأجواء الممتعة والجميلة التي يعيشها المجاهدون في الجهاد الأصغر، يمكن أن نعيشها في الجهاد الأكبر وفي خضمّ محاربة النفس. حتى أن الصفاء والجمال الذي يشتمل عليه أجواء الجهاد الأكبر هي أكبر وألصق بالفؤاد من أجواء الجهاد الأصغر. نحن نستطيع في أجواء الجهاد الأكبر أن نعيش نفس تلك الأجواء المعنوية والروحانية التي كان يعيشها المجاهدون في أيام الدفاع المقدس. حتى أن في خضم الجهاد الأكبر نستطيع أن نعيش أجواء أكثر معنوية ونورانية. وأنتم تعلمون أن الإمام الخميني(ره) هذا الرجل العظيم الذي قامت هذه الثورة المباركة والعظيمة على أكتافه وببركة وجوده، وتربى آلاف الشهداء تحت ظله، إنما كان بطلا في ساحة الجهاد الأكبر. وأنا أتألم عندما أرى بعض الإخوة من المجاهدين يتحدثون بتحسر عن أيام الجبهة ومعنوياتها وروحانياتها وكأنه ذهبت تلك الأيام ولا فرصة بعد لهذا الجيل حتى يعيش الروحانية والأجواء المعنوية. فهذا كلام باطل من أسره؛ إذ لم يمنع الله

نعمه عن عباده ولا يظلم أحدا بل يضاعف نعمه على عباده. فإن هذه الفرصة التي أعطاها الله للجميع في ساحة الجهاد الأكبر أثنى بكثير من فرصة الجهاد الأصغر. في أجواء الجهاد الأصغر كنا نشعر بمحبة الله ولطفه بعد ما كنا نضحى بأنفسنا وأموالنا، أما في الجهاد الأكبر وبعد ما نضحى بأميالنا وأهوائنا، نشعر بمزيد من رضا الله ولطفه ونكسب نورا أقوى من النور الذي نكسبه في أجواء الجهاد الأصغر.

**٢. الشعور بخطر العدو / لابد من رصد العدو في الجهاد الأكبر كما هو الحال في الجهاد الأصغر، لكي تتمكن من مراقبة نفسك وتستعين بربك القاسم المشترك الآخر بين الجهاد الأكبر والجهاد الأصغر هو تواجد العدو، والخطر الذي يهددنا من جانبه. فعندما تشعر بوجود العدو في الجهاد الأصغر وتلتفت إلى الخطر الذي يهددك من جانبه،**

تلتجأ إلى الله وتشعر بالروحانية والمعنوية حينئذ.  
وكذلك الحال في الجهاد الأكبر حيث لا بد لك  
أن ترى العدو فيه كي تتمكن من مراقبة نفسك  
وتستعين بربك. فقد قال رسول الله (ص): «أَعْدَى  
عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ» [عدة الداعي/  
ص ٣١٤]. وفي المقابل إن العدو الخارجي في  
الجهاد الأكبر وهو الشيطان الرجيم يبدو ضعيفا من  
خلال آيات القرآن؛ (إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)  
[نساء/٧٦] ولكن لا بد من أخذه على مأخذ الجد.

**٣. صعوبة العمل والحاجة إلى الشجاعة/ إن  
الشجاعة التي يحتاجها الإنسان في الجهاد الأكبر  
أكثر من الشجاعة التي يحتاجها في الجهاد الأصغر  
كلا الجهادين الأكبر والأصغر هي من الأعمال الشاقة  
والتي تحتاج إلى شجاعة. وأقسم بالله إن الشجاعة  
التي يحتاجها الإنسان في الجهاد الأكبر أكثر من  
الشجاعة التي يحتاجها في الجهاد الأصغر. إن خوف**

فقدان «اللذة» وخوف فقدان «الجاه والسمعة»  
وخوف فقدان «الفرصة»، يترك أثره السلبي على  
شجاعة الإنسان وهذه هي من مصاعب الجهاد الأكبر.  
إنه لجهاد أكبر حقا. وأولئك الذين خاضوا في ساحة  
الجهاد الأكبر ونجحوا في هذا الميدان، ينظرون إلى  
ساحة الجهاد الأصغر كما ننظر نحن إلى المقبلات  
فلا نهتمّ بالمقبلات كما نهتمّ بالطعام الرئيسي في  
المائدة. وكذلك حال الإنسان المحترف في ساحة  
الجهاد الأكبر، فإنه بكل سهولة ينزل إلى ميدان الجهاد  
الأصغر ولا يبالي. ينقل عن الإمام الخميني (ره) أنه  
ارتقى المنبر في أيام شبابه وألقى محاضرة جيّدة.  
فاستحسن الحضور محاضرتَه ومدحوه. بعد ذلك  
امتنع الإمام عن إلقاء المحاضرات لمدة أربع سنين  
عقابا لنفسه بعد أن وجدها طربت لمدح الآخرين  
وانتعشت لثنائهم. بينما نحن إن نحصل على مثل هذا  
المدح نزداد اندفاعا ونعتبره علامة النجاح والتوفيق

في العمل. فانظر مدى الفارق الكبير بين الإمام وبيننا. طيب لماذا ينبغي أن نخالف نفوسنا بهذه الشدة؟ فهذا ما سوف تناوله في الأبحاث القادمة إن شاء الله.

## ٤. عشق الله وحب الآخرة/ إن الاهتمام بالله وبالآخرة في الجهاد الأكبر أكثر من الجهاد الأصغر

لقد قال الإمام الخميني (ره) أن القوات التعبئة هي مدرسة العشق وكان يؤكد سماحته على عشق الله وحبّه في موسم الجهاد الأصغر وأيام الدفاع المقدس. ولكن يزداد هذا الاهتمام بالله وبالآخرة في الجهاد الأكبر. فالذي كان يعشق ربه في الجهاد الأصغر ويبكي من فراقه ويناجي الله شوقاً إلى لقائه، سيزداد شعوراً بهذا الحب والعشق في خضم الجهاد الأكبر. لقد روي عن الإمام الباقر (ع) أنه قال: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَ عَرَّتِي وَ جَلَالِي وَ عَظَمَتِي وَ بَهَائِي وَ عُلُوَّ ارْتِفَاعِي لَا يُؤْتِرُ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ هَوَايَ عَلَى هَوَاهُ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا إِلَّا جَعَلْتُ غِنَاهُ فِي نَفْسِهِ، وَ هِمَّتَهُ فِي



أَخْرَتَهُ وَ وَ ضَمَّنَتْ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ رِزْقَهُ، وَ كُنْتُ  
لَهُ مِنْ وَرَاءِ تِجَارَةِ كُلِّ تَاجِرٍ» [الكافي/ج ٢/ ص ١٣٧]  
وقد رويت هذه الرواية بتعابير مشابهة عن غيره من  
أئمة أهل البيت (ع). ولا يخفى عليكم بأني قضيت  
ثلاثين سنة من عمري في دراسة القضايا الأخلاقية  
وبودي أن أقدم لكم تقريراً عن نتيجة ما حصلت  
عليه في هذه السنين الثلاثين في ثلاثين ليلة في  
شهر رمضان هذا. ولكني أعترف أمامكم بأني لم  
أفهم هذا الحديث إلى الآن وكلما قرأته طوال هذه  
السنين الطويلة شعرت بأني لم أفهم مغزى هذا  
الحديث جيداً. والعجيب هو أن الشرط في كسب  
هذه البركات هو أن يؤثر الإنسان هوى الله على هواه  
في أمر واحد وقضية واحدة لا في حياته كلها؛ «فِي  
شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا». ومعنى هذا الحديث هو أَنَّ  
كُلَّ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي قَمْنَا بِهَا وَاعْتَبَرْنَاهَا مِنْ  
مُضَادِّقِ جِهَادِ النَّفْسِ وَإِثَارِ هَوَى اللَّهِ عَلَى هَوَى  
نَفْسِنَا فَهِيَ لَيْسَتْ كَذَلِكَ وَلَا قِيَمَةٌ لَهَا بِحَيْثُ  
تَوَوَّلَ إِلَى تِلْكَ النَّتِيجَةِ الْمُبَارَكَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الرَّوَايَةِ.

فيبدو . والله العالم . أنا انتقينا الأعمال الصالحة التي تنسجم مع أهوائنا وقمنا بها، فلم نؤثر هوى الله على هوى نفسنا بالشكل الصحيح حتى لمرة واحدة. سوف نتناول هذا الموضوع في الجلسات القادمة إن شاء الله وهو أن لماذا نحن بأمس الحاجة إلى محبة أهل البيت. طبعاً أنا في الليلة الأخيرة وبعد ما وقفنا عند الموضوع ساعات طوال، سوف أقول لكم كلمة بودي أن أقولها في هذه الليلة الأولى. وهو أن ليس شيء يعين الإنسان على غلبة هواه بقدر حبّ أهل البيت(ع). فإن هذا العامل أقوى العوامل وأجدرها بنصرك على نفسك. وسوف نلتقى غداً يوم القيامة بالتأكيد ونرى صحة ما قلته لكم.

## صلى الله عليك يا فاطمة الزهراء

ولكن اسمحو لي أن أقول لكم أن في تلك اللحظات التي كان الشباب يقلعون فيها من كل التعلقات والأواصر عشقا بالشهادة ولقاء الله، كانوا ينطلقون بعدما يسمعون مصائب الزهراء(س) فكانوا يذهبون

نصرة للزهراء وانتقاما من أعدائها. فإنك في تلك اللحظات التي تتدرب فيها على حب أهل البيت (ع) وتحاول أن تزداد حبا لهم، تكسب اللياقة والكفاءة اللازمة لاستلام نصرتهم ومعاونتهم عند الحملة في الجهاد الأكبر، كما كان المجاهدون يستعدون للحملة بذكر أهل البيت (ع). وأولئك الذين عاشوا أيام البجعة وأيام الدفاع المقدس يعرفون جيدا أن ليس أحد من المعصومين قد نصر المجاهدين بقدر فاطمة الزهراء (س). فلنستفتح حملتنا ضد أهواء النفس في أول ليلة من شهر رمضان بذكر الزهراء (س).